وإظهارها من الدنيا للدنيا. لم يخلق وجودها، ولكنه أوجدها في التاريخ البشري».

وقال أيضا: «قرأ الأستاذ كتب السيرة... وأمرها على إحساسه الشاعر المتوثب، واستلها من التاريخ بهذا القريحة وهذا الإحساس كما هي في طبيعتها السامية متجهة إلى غرضها الإلهي، محققة عجائبه الروحانية المعجزة».

توفيق الحكيم

ثم ضرب الرافعي نصَّ الحوارية على محك النقد العصري وموازينه الفنية، فتبين له أن إنشاء السيرة العطرة على هذا النحو الحواري ليس بغيضا ولا محرما، وإنما هو مستحب، دعت إليه الضرورة، فخرجت به السيرة من شكلها التاريخي المسرود إلى شكل مسرحي يواكب العصر الحديث. قال الرافعي: «إن هذا الكتاب يفرض نفسه بهذه الطريقة الفنية البديعة. فليس يمكن أن يقال: إنه لا ضرورة لوجوده، إذ هو الضروري من السيرة في زماننا هذا».

الحاجة إلى مجابهة الرسوم والصور بالأساليب المعاصرة نفسها

وعن تأثير الصور والرسوم والمسلسلات في تشويه صورة الإسلام، وسيرة النبي ﷺ وضرورة مواجهة ذلك بأساليب معاصرة قوية ومؤثرة يقول د. غازي طليمات:

يذكر القارئ أن بضع صور آثمة، فيها من القبح أكثر مما فيها من الفن، صورت شخصية رسول الله تصويرا مفترى. ويذكر كذلك أنها استطاعت أن تجتاح العيون وأن تشغل الصحف وأجهزة الحاسوب، وقنوات الفضاء، وأن تفرض نفسها على الوزارات والدول، وأن تستثير من الجدال والمعارضة أضعاف ما أثارت الآيات الشيطانية قبل سنين. وهي رسوم شائهة، لا قصة فيها ولا أحداث ولا حركة ولا حوار. ولك أن تتصور مقدار ما يمكن أن تفعله هذه الصور المفتريات لو خطر لمن افتراها أن يبث في تضاعيفها حبكة قصة، وروح حوار، وأن يحولها من خطوط ملتصقة بورق إلى حركات مشفوعة بأحداث وشخصيات، وحركات موقعة على نغمات.

إن مجابهة الدبابات بالحجارة والمدافع بالخناجر معركة خاسرة، وعلى الذين يسوؤهم أن يمثل الغرب الصليبي شخصية النبي ﷺ تمثيلا مفترى، يزري بأكرم الخلق أن يتيحوا لمن يعملون في المسرح مقابلة الافتراء والإزراء بالتكذيب والتصويب ولن يتيسر لهم ذلك إلا في إطار رحب من حرية الحركة. ومتى وهبوا هذا القدر من الحرية فحينئذ يستطيعون أن يجابهوا الرذائل المختلفة بالفضائل الموثقة، والترّهات المفتراة بالتاريخ الحقيقي.

ولكن ماذا يختار المسرحيون للكتابة عنه، وماذا يقدم الممثلون على خشبة المسرح من تمثيليات، يقول د. غازي طليمات في توضيح ذلك:

يختارون من السيرة النبوية المواقف الإنسانية التي يدَّعي الغرب أن الشرق الإسلامي يفتقر إليها، فيتهمه بالعسف والعنف. يختارون منها للحوار والتمثيل: أمانة النبي ﷺ، وحسمه الخلاف بين القرشيين في وضع الحجر الأسود على جدار الكعبة، وإعجابه بحلف الفضول، وصبره على ما ناله من أهل الطائف، وعقده صلح الحديبية، ومهادنته اليهود، ومفاداة الأسرى بالتعليم، وإطلاقه السبايا من بني هوازن، وعفوه عمن أساؤوا إليه من الشعراء، ومنهم كعب بن زهير، ومعاملته الكريمة لأعدائه يوم الفتح، ورعايته أهل الذمة، وخاصة نصارى نجران، وعلاقته الودية مع النجاشي، وحرصه على الشورى في أمور الدنيا، ومقاومته العنصرية في معاملة صهيب الرومي، وبلال الحبشي، وسلمان الفارسي.

إن كل موقف من هذه المواقف يمكن أن يتحول